

# حملة باب المروج... طريق الدم والنار

محمد الخدادي

باحث وكاتب صحفي

## مقدمة النص المترجم

كما تعبر عن ذلك الصيغة المجازية في اللغة الفرنسية، كسر الجيش الفرنسي أسنانه على صخور جبال البرانس، خلال أزيد من عشر سنوات من المعارك الشرسة، استعمل خلالها جميع أنواع الأسلحة، واستعان بمتعاونين من أبناء البلد أحيانا، وترك خلالها عددا كبيرا من القتلى، من ضباط وضباط صف وجنود.

الجيش الفرنسي بضباطه وخبرائه العسكريين المتمرسين في الحرب العالمية الأولى، وبتقنياته المتطورة في العمليات العسكرية والنقل والتواصل... ومع ذلك تفهقر أمام مقاومة لا تملك عادة سوى أسلحة تقليدية.

يتحدث هذا النص أكثر عن مقتل الضباط، دون ضباط الصف والجنود، ومع سقوط ضابط، يفترض سقوط أفراد كثيرين من فرقته.

ولا حديث في هذه التقارير عن الخسائر البشرية في صفوف المقاومة!!

على غرار الموقف الفرنسي، يستعمل لويس فوانو مصطلح "التهدة"، ففي جميع الأدبيات الرسمية (العسكرية والدبلوماسية)، لا وجود لكلمة "حرب" بشأن الأعمال العسكرية في المغرب، التي اعتبرت مجرد "عمليات تهدة Opérations de pacification" (1) رغم أن فرنسا استعملت جميع أنواع الأسلحة الثقيلة والطيران الحربي في المواجهة مع المقاومة المسلحة في الريف والأطلس... وكان الضحايا بالأساس من السكان العزل، نساء واطفال ورجال، أكثر بكثير من المسلحين المقاومين. هذا التحايل اللغوي كان مقصودا، لأن فرنسا كانت تعتبر أعمالها مشروعة، تمارسها باسم السلطان ضد "القبائل الخارجة عن الشرعية"،

وبالتالي فإن أعمالها تلك لا يمكن أن تكون حرباً!!!

هذا النص جزء (ص:145 إلى 151) من كتاب لوي فوانو تحت عنوان:

Colonel L.VOINOT : Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc. Charles-Lavauzelle et Cie. Editeurs Militaires. PARIS- France.1939

النص المترجم

## باب المروج

بعد استقرارنا في حوض واد إيناون، ظل الأمن هشاً في بلاد البرانس، حيث كانت تحركات الشنقيطي تغذي التوتر، ويوم 8 يناير 1915، هاجم أنصاره في سيدي أملال قافلة عسكرية كانت متوجهة من تازة إلى واد أمليل، إلا أن فريق المواكبة تمكن من صد المهاجمين. ويوم 21 يناير، ألغيت محاولة تدخل من طرف الكولونيل بولو (Bulleux)، بسبب سوء أحوال الطقس.

لكن خصمنا العنيد واصل ممارساته، وحاول دفع البرانس إلى الانخراط في الجهاد. ولهذه الغاية، انتقل المقدم دوريكوان (Derigoïn) يوم 5 ماي نحو الشمال، صحبة الفرقة المتحركة بتازة، معززا بحوال 5 آلاف رجل، عبر ميدان وعر ومبيل.

وفي محيط ضريح سيدي أحمد زروق، تمكنت تلك الفرقة من صد هجمات عنيفة، ورغم أن العدو أبدى قوة كبيرة، إلا أنه أمكن إبعاده من مختلف القمم في المنطقة، ولم تتمكن القوات من الوصول إلى سيدي أحمد زروق إلا في الساعة السابعة مساءً، وخلال الليل عادت مجموعات لإطلاق الرصاص مرات كثيرة على المخيم.

كانت خسائرنا في ذلك اليوم سبعة قتلى و15 جريحاً.

في اليوم التالي، تم الاتصال بقائد منطقة فاس الكولونيل هنري سيمون (Henri Simon)، الذي قاد في الحين هجوماً فعالاً ضد المجموعات التي كانت بقيت حول معسكر سيدي أحمد زروق، وبعد نصب سلاح المدفعية، تمكنت قواتنا من طرد تلك المجموعات من مواقعها، وتراجعها مشتتة شمال سيدي أحمد زروق. وفقدنا في تلك العملية سبعة قتلى و14 جريحاً، بينهم ضابط.

يومي 7 و8 ماي 1915، قام الكولونيل بجولات استطلاع في المنطقة، وأقيم مخزن لمواد التموين والذخيرة في جبل حلفة، على بعد 5 كلم جنوب غرب سيدي أحمد زروق، ليكون نقطة دعم خلال عمليات المراقبة الجديدة، حيث استقر في الموقع أربع سرايا للمشاة، ومفرزة خيالة، وفرقة مدفعية.

يوم 9 ماي، هاجم عدد من البرانس تلك القوة، التي نظمت خرجة وفرقت المتمردين، لكنها فقدت قتيلا واحدا، ووقع فيها أربعة جرحى.

في اليوم نفسه، هاجمت مجموعات أخرى فرقة كانت متوجهة إلى تازة من أجل التموين، ووقع ثلاثة جرحى فقط.

لقد أثارت نجاحاتنا إعجاب البرانس، وقررت بعض الفخزات منهم طلب الأمان.

وبمجرد ما نظم عملية التموين والتزود بالوقود بما يكفي هذه الفرقة المحركة خلال 15 يوما، غادر الكولونيل سيمون تازة يوم 14 ماي 1915. ومن 15 إلى 18 ماي، واصل عمله الفعال في بلاد البرانس، بإحراق المحاصيل الزراعية للمتمردين.

لقد أدى استعمال القوة إلى استسلام الكثيرين، حيث قبل حوالي ربع القبيلة شروطنا لمنحهم الأمان. أما الشنقيطي، فقد تراجع إلى محاذاة المنطقة الإسبانية، ومن هناك وجه دعوات إلى الحجامي لدى قبيلة غياثة، وكذلك إلى بني وراين (من أجل التنسيق والتعاون في المقاومة - المترجم).

بعد تراجع الفيلق، غيّر البرانس موقفهم تحت تأثير الأحداث في منطقة الغرب، فاجتمع 1500 مقاتل شمال غرب جبل حلفة، ما جعل الملازم كولونيل دوريكوان يزحف نحو ذلك التجمع يوم 24 ماي، قاطعا منطقة وعرة للغاية، ويوم 25 ماي شنت العدو في جامع الخمسين، وطارده في الجبل، ملحقا به خسائر ثقيلة، بينما وقع في صفوفنا 13 جريحا.

لكي يؤمّن طريق المرحلة، واصل الكولونيل تقدمه شرقا حتى عين ثلاثة، يوم 27 ماي، حيث استقر في هذه النقطة قبل العودة إلى تازة.

أما الشنقيطي فقد ظل على مسافة بعيدة، ينتظر الفرصة المواتية لاستئناف الهجوم.

بعد أن أكملت الفرقة المتحركة استعداداتها، انطلقت من قاعدتها يوم 10 يونيو، فأقام الملازم كولونيل دوريكوان مركزا في باب المروج، وظيفته هي مراقبة بلاد البرانس، وشرعت

العناصر المعتدلة من قبيلة البرانس في استعادة الثقة. ومنذ 18 يونيو، صار بالإمكان سحب قوات من المنطقة وتوجيهها إلى منطقة ورغة غربا، إلا أن ذلك الانسحاب أدى إلى بعض التوتر، فيوم 29 يونيو حاول أهل فرقة بني فصوص إثارة البلبلة في يوم سوق، إلا أن قوات المخازنية أفشلت العملية. ثم إن الإعلان عن تقدمنا غربا في حوض ورغة أزاح سريعا حالة التوتر في هذه الجهة من بلاد البرانس.

في سنة 1916 كانت لتحركات عبد المالك (2) المعادية لفرنسا امتدادات في بلاد البرانس. فقد تمكّن هذا العميل الذي استماله الألمان، من إنشاء مَحَلّات كثيرة (جمع مَحَلّة)، وفي شهر غشت، قام بمحاولات داخل خطوط وجودنا، وخاصة في منطقة باب المروج، وأثارت دعايته البلبلة وسط سكان القبيلة.

في مارس 1917، أصبح الخطر جديا، إذ ركز المحرض على البرانس ودفعهم إلى التمرد. وقد تمكنت الألوية الخفيفة الحامية للمركز من مواجهة العصابات المعادية، لكن الأمر كان يتطلب عملا حاسما من أجل كسر الهجوم الذي كان في طور الإعداد.

وبما أن الفرقة المتحركة في تازة كانت ضعيفة للغاية، فقد أضيفت إليها فرقة فاس، فاجتمعت الفرقتان قرب تازة يوم فاتح أبريل 1917، تحت قيادة الجنرال شيرري (Cherrier)، في انتظار التوجه إلى المنطقة، وكانت مَحَلّة مغراوة التابعة لعبد المالك، شرق بلاد البرانس، هي الهدف الأصلي.

بعد إلحاق الهزيمة بعبد المالك وتشنيت مقاتليه، تحرك الجنرال نحو البرانس المتمردين، حيث استسلم قسم منهم، إلا أن التمرد ظل مستمرا. وعندما كانت القافلة العسكرية متوجهة نحو سوق حد كزناية (حد جبارنة - المترجم)، يوم 10 أبريل 1917، تعرضت مؤخرتها لهجوم عنيف، واضطررنا لخوض معركة قاسية، وقعت خلالها خسائر معتبرة في الجانبين.

كانت المعركة عمليا بدون نتائج، إذ عادت القوات على أعقابها، من أجل الالتفاف حول المنطقة على مسافة طويلة. ويوم 16 أبريل، نفذ الجنرال شيرري عملية قاسية على ضفتي واد الحضر، بإحراق بيوت المتمردين. وسجلت هذه العملية الناجحة نهاية الحملة في المنطقة.

وبما أن القبيلة خضعت للنظام، فقد افتقرت الفرقتان المتحركتان يوم 18 أبريل، وعادت كل منهما إلى قاعدتها في تازة وفاس.

إلا أن الأوضاع ظلت مضطربة للغاية، وأصبح بني بوعلام مشكوكا في أمرهم في شهر يونيو 1917. وهكذا انخرط فيلق تازة يوم 9 من هذا الشهر، تحت قيادة الكولونيل أوبير (Haubert) في فرض مراقبة مشددة على هذه الفرقة من البرانس، فربط الفيلىق في جبل أنصار يومي 10 و11 أبريل ثم توجه نحو واد اللبن. وعند نزوله نحو سوق حد فزازرة في حوض واد لحضر يوم 13 أبريل، واجهته وحدات عبد المالك المقاتلة في معركة عنيفة، فقدنا خلالها 14 قتيلًا ووقوع 28 جريحًا، كما تعرض العدو أيضا لخسائر كبيرة.

في طريق العودة، لم يتعرض الفيلىق لأي حادث، وقد توقفت القوات في جبل الحلفة وباب المروج، قبل الرجوع إلى تازة. ثم تحرك الكولونيل مجددا يوم 7 يوليو 1917 متوجها إلى الجبل لحر، وأزال معسكر جبل الحلفة وعوضه بموقع دائم للمراقبة أقامه في امسيلا، هاجمته قوات نظامية تابعة لعبد المالك ليلة 26-27 يوليو، مباشرة بعد مغادرة الفرقة المتحركة له، وتمكنت الحامية من صد الهجوم، لكن مع مقتل ضابط وسقوط خمسة جرحى.

بعد مرور سنة، فرض علينا المحرض (عبد المالك) أن نتدخل مجددا، لطرده تجمع لمقاتلين. استولى على جبل بوهارون، حيث جمع الجنرال أوبير وحداته والمتعاونين التول (3) في كدية لبيض يوم 24 أكتوبر 1918.

ويوم 27 منه، انتقل الفيلىق إلى سوق خميس بني بوعلام، وفي اليوم الموالي، اجتاز بلاد أهل الواد، ووصل إلى بوهارون يوم 29 أكتوبر. وخلال ذلك اليومين كان العدو حاول وقف تقدمنا، وشارك في القتال فقط المتعاونون التول، حيث استطاعوا إبعاد قوات عبد المالك، ورغم أن المعركة كانت ساخنة أحيانا، لم تتدخل قواتنا لدعمهم.

بعد انسحاب خصومنا، أقمنا مركزين في بوهارون وكاف الغار، ومنذ ذلك الوقت صار البرانس خاضعين كليًا، ولم يتأخر اختفاء عبد المالك من الساحة.

استمر الهدوء في بلاد البرانس إلى أن وقع الاجتياح الريفى سنة 1925، ولم تتأثر المنطقة في أول الأمر بالمقاومة، التي كانت تجري أساسا في مناطق أخرى. وفي أواخر شهر ماي،

وُضع الجنرال دوگان (Daugan) على رأس الجبهة الشمالية، صحبة الجنرالين دو شامبران وبيلوط (de Chambrun et Billotte) كمساعدين له، فنظم ثلاثة قطاعات، صار بموجبها مجال باب المروج ضمن القطاع الشرقي، الممتد من الحدود مع قبيلة التول غربا إلى الحدود مع الجزائر شرقا، وكان تحت قيادة الكولونيل كامباي (Cambay).

هكذا صار وضعنا حرجا للغاية، ووحده تأثير ضباط الشؤون الأهلية ظل يؤخر تمرد البرانس، وفي شهر يونيو كثف المحرضون المعادون أنشطة التوتر، وكان الأكثر شراسة بينهم الألماني كليمس (Klems)، وهو مساعد سابق فر من فرقة الليف الأجنبي.

كان هدف (المقاومة) هو الربط بين الريف وممر تازة، من أجل عزل المغرب عن الجزائر، وبذلك صار نشاطها العسكري معززا بعمل سياسي لجعل القبائل الخاضعة تخرج عن طوعنا.

أطلق عبد الكريم (محمد بن عبد الكريم الخطابي - المترجم) هجوما يوم 23 يونيو 1925، فانهزمت الفرق المتقدمة المكونة من المتعاونين التول والبرانس ما جعل الكولونيل كامباي يسارع إلى تركيز القوات المتوفرة في منطقة باب المروج - امسيلا. وفي بداية يوليو سقط مركز بوهارون، وتعرض مركز امسيلا للحصار ولهجمات قوية، وبعد ذلك استولى الريفيون على مركز ظهر الحمار في منتصف ذلك الشهر.

آنذاك انطلقت فرقة عسكرية من باب المروج بقيادة الكولونيل فيرال (Féral)، وأخرى من دار القايد المذبوح (جبارنة، قبيلة كزناية - المترجم) بقيادة الملازم كولونيل جيرو (Giraud) لمعاينة الفخذات المتمردة، والتقت الفرقتان في جبل النهير، يوم 11 يوليو، رغم تخلي المتعاونين البرانس الذين كانوا مساندين لنا.

وفي ذلك اليوم كان الكولونيل دو بيرو (de Pérot) ضمن القتلى في صفوفنا. إلا أن هذه العملية لم توقف الهجوم المعادي، لأن نقص عدد الجنود قلص إمكانياتنا في العمل، وزاد الوضع تعقيدا بتراجع المتعاونين التول عن مساندتنا.

ظلت هذه القبيلة المتمردة تهدد القوة المشكلة لتغطية خلفيتنا، والمتمركزة على خط واد أمليل - كنداروش (Camp - Desroches) - مكناسة التحتانية - باب المروج. وبذل

الريفيون جهودا كبيرة لكسر هذا الخط، محاولين بكل ثمن قطع خط السكك الحديدية الذي تفد بواسطته القوات من الجزائر.

ابتداء من 20 يوليوز 1925، وقعت فرقة الضابط فيرال (Féral) تحت الحصار في باب المروج، وتعرضت لهجمات كثيرة. وصار خطر كبير محققا بتازة، إذ كان في استطاعة العدو الوصول عند غياثة وبني وراين، الخاضعين حديثا. ولحماية المدينة سحبنا فيالق من مراكز أخرى في الجبهة.

هكذا حاولت الفرق المتحركة في كل من كنداروش، بقيادة الكولونيل بولي (Poulet)، ومن واد أمليل بقيادة الكولونيل لاكارد (Lagarde)، ومن الشرق بقيادة الملازم كولونيل جيرو (Giraud)، ثم فرقة الكولونيل بوتري (Boutry)، أن تكسر الهجوم، فخاضت معارك عنيفة وحررت مركز باب المروج يوم 24 يوليوز، مع وقوع خسائر مهمة في صفوفنا. فمن فرقة بوتري قتل الملازم بوفار (Buffard) والملازم مايان (Mayan) يوم 26 يوليوز. إلا أن انتصاراتنا ووصول قوات الدعم أثرت على البرانس والتول، وقد دخل الأخيرون في محادثات معنا.

وعندما تولى الجنرال نولان (Naulin) قيادة القوات المعززة في مطلع شهر غشت 1925، أصبح القطاع الشرقي تحت إمرة الجنرال بواشو (Boichut)، الذي يقود الفيلق 19 المكون من عدة فرق من المشاة (19<sup>e</sup> corps d'armée de marche).

أنجز هذا الفيلق عملية واسعة النطاق من أجل استعادة بلاد التول، وعمل على قطع صلتهم بالبرانس، واستعاد السيطرة على مركز امسيلا. ثم استغل النتائج المحرزة بمواصلة الهجوم شمال باب المروج، وكان الهدف هو جبل أمساف، في بلاد البرانس، المتحكم في حوض واد لحضر.

لهذه الغاية، تم استعمال جميع القوات المتوفرة، أي 16 كتيبة، و4 أسراب (escadrons)، و15 مدفعا، وكتيبتان من دبابات الاقتحام. وانتظمت هذه القوات في مجموعتين، واحدة في الغرب بقيادة الكولونيل دوس (Dosse)، والأخرى في الشرق بقيادة الكولونيل كوراب (Corap).

يوم 20 غشت 1925، انطلقت ثلاثة فيالق من امسيلا وباب المروج ودار القايد المذبوح في اتجاه باب العشوب، ولم تصادف مقاومة فعلية إلا في البداية.

ويوم 27 غشت التقت الفيالق الثلاثة، مع وقوع خسائر طفيفة، واستسلم البرانس، واستولت قواتنا على جبل النهير، حيث ظل العدو يقوم بهجمات دون جدوى، ثم وقعت بعد ذلك بعض الاشتباكات، ظلت عموما قليلة المفعول.

ابتداء من 8 شتبر، انتهت العمليات الشاملة لقواتنا، وكان بين قتلى هذه المرحلة عدد كبير من الضباط: القبطان هونكلر (Hunckler) يوم 26 غشت، والملازم ألي (Allie) يوم 27 غشت، والملازم دومونتيي (Dumontier) يوم 31 غشت، والقبطان كوني (Gonnet) يوم 4 شتبر، والملازم بوري (Bories) يوم 6 شتبر، وكل من القبطان مارتان (Martin) والملازم فوازان (Voisin) والملازم برياس (Brias) يوم 10 شتبر 1925.

وينتمي الضباط الخمسة الأوائل إلى سلاح القناصة، والثلاثة الآخرون إلى فرقة اللفيف الأجنبي.

ورغم استعادتنا للسيطرة، لم يتخلّ الريفيون عن مشروعهم، ففي شهر أكتوبر، قامت مجموعات بمحاولات عدة للتسرب إلى خلف خطوطنا، لكن المتعاونين التول والبرنس ردوهم على أعقابهم.

خلال فصل الشتاء عملنا على تعزيز الجبهة، ولم يستقر الوضع عمليا إلا بعد هجوم ربيع 1926، الذي قضت خلاله الجيوش الإسبانية والفرنسية على انتفاضة الريف.

+++++

## هوامش

1- بعد "تهدة" المنطقة، أقام الجيش الفرنسي نصبا تذكاريًا، سجل عليه أبرز المعارك التي خاضها ضد قبيلة البرانس على مدى 11 سنة (1915-1926)، وهي كالتالي:

معركة سيدي أملول: 8 يناير 1915

معركة سيدي أحمد زروق: 5 ماي 1915

معركة جامع الخمسين: 25 ماي 1915

عمليات في منطقة باب المروج، ومعركة أمساف وجبل النهير، وقضية طهر الحمار: يونيو  
ويوليو وعشت 1925

2- عبد المالك، ابن المقاوم الجزائري الأمير عبد القادر، كان موظفا في الإدارة الفرنسية  
بالمغرب ثم في الشرطة الدولية بطنجة، وقام بحركة ضد فرنسا في شرق المغرب سنتي  
1916-1917، امتد تأثيرها إلى بلاد البرانس، في ما عرف بـ"الهربة د عبد المالك".

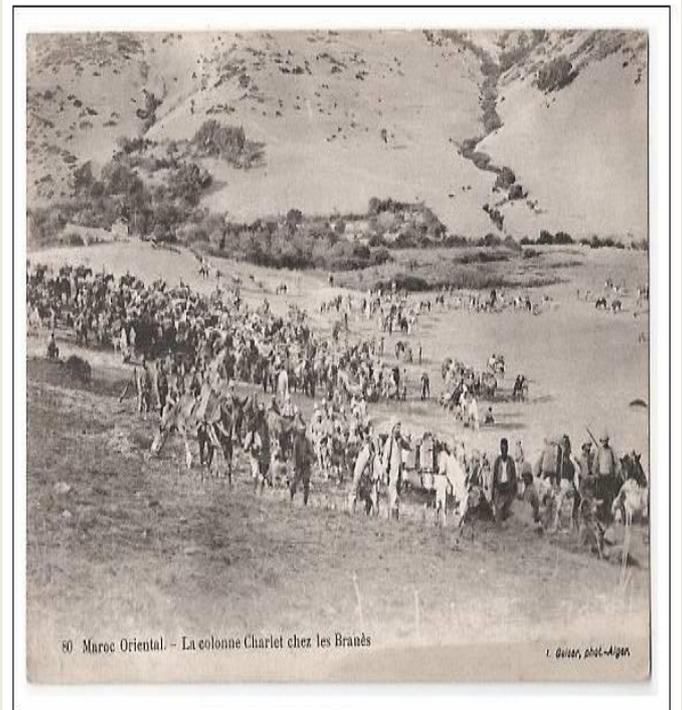
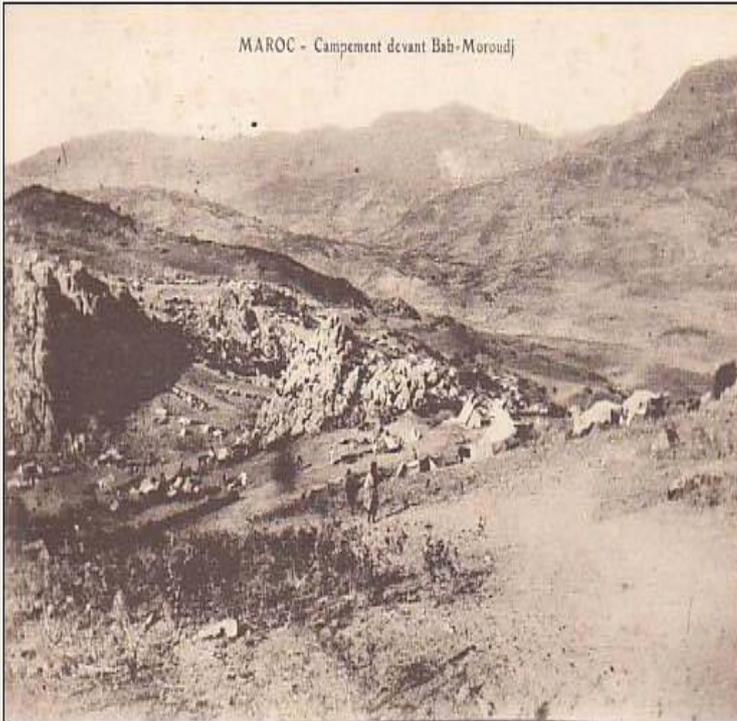
3 - المتعاونون (Les partisans): عند سيطرة الجيش الفرنسي على مناطق معينة، كان  
يسلح أفرادا من أبناء البلد يستعملهم في مواجهة المقاومة، بهدف عسكري وسياسي، إذ  
يقلص من الخسار البشرية في صفوفه، ويزرع الفرقة بين أبناء القبيلة.

4 - اللفيف الأجنبي (La légion étrangère): قوات في الجيش الفرنسي مكونة من  
جنود أجانب بنسبة كبيرة، وهي التي عرفت محليا بصيغة "لاليجو".

+++++

**ملحق الصور:** ألبوم يخص بعض المواقع العسكرية والأسلحة وبعض الزعماء مثل القائد الخلافي، الخطابي

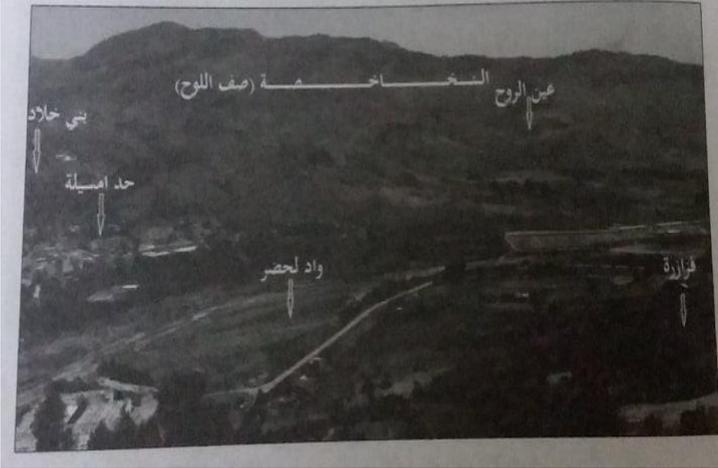
والأمير عبد المالك. شكر خاص للدكتور محمد الوردى، عزيز الحرش وموقع DELCAMPE



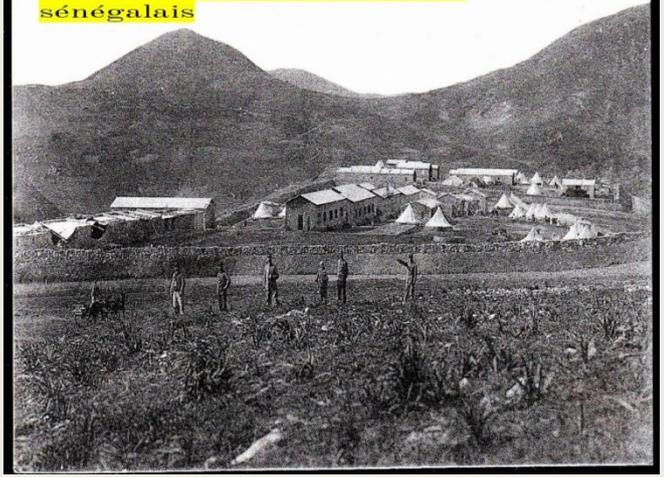
Zimbalek

www.delcampe.net

صورة رقم 8: جانب من المجال الذي شهد معارك أواخر يوليو 1915



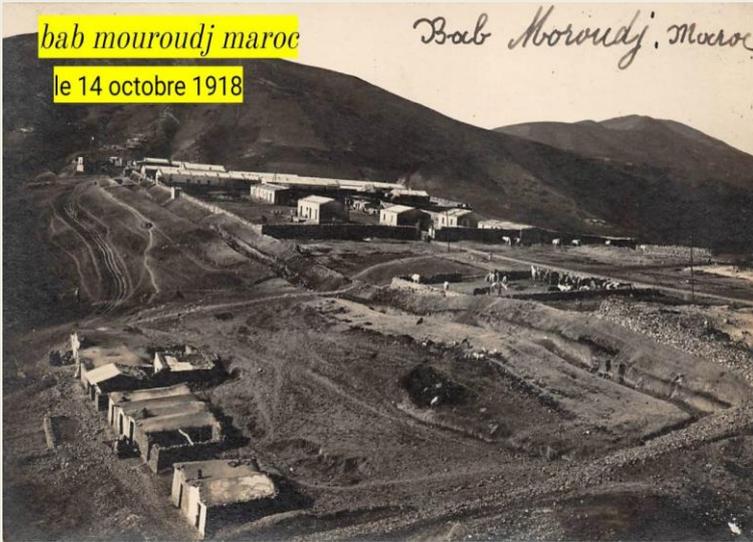
le camp de bab morouj fut eteblé le 13 juin 1915 par le commandant lamourous avec 600 soldats avec 600 soldats Sénégalais



*bab mouroudj maroc*

le 14 octobre 1918

*Bab Moroudj, Maroc*



campagne du riff - le poste de bab moroudj



3065. - CAMPAGNE du RIFF — Le Poste de Bab-Moroudj.

L'ancien poste du djebel amsef réoccupé par nos troupes depuis le 26 août



le 26 septembre 1925

L'ancien poste du djebel Amsef réoccupé par nos troupes depuis le 26 août.

www.delcampe.net

kiwilice007



Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

صورة رقم 22: مدفعية طراز 75 بمعسكر جبل الحلفة سنة 1925

